

المقاصد التربوية للتصوف ودورها في إصلاح المجتمع

د/ مباركة حاجي

جامعة الجزائر 2 - قسم الفلسفة

مقدمة:

لقد حدد الصوفية أن منهاج السلوك الصوفي هو التربية الوجدانية عبر التحقق لمقامات الأخلاق والمجاهدات: كالصمت والتواضع والتوبة والصبر والذكر والتسامح والإحسان في العمل، والجود وبسط الوجه والأمانة والرحمة وإطعام الجائع، وتفقد الجار وصلة الرحم وكلها شعب من شعب الإيمان التي طوبى بها المسلم.

1 - ضابط الإيمان لصحة السلوك الصوفي:

إن التصوف هو روح الإسلام وتمثل لدرجة الإحسان من الإيمان التي أشار إليها الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن

التصوف كما يرى ابن خلدون: علم حادث في الملة شأنه شأن علم أصول الفقه وعلم القراءات وعلم الكلام وغيره له موضوع هو التزكية، طبيعته ذوقية محضة، ومنهجه التربية الروحية، فهو دائر في محيط الدين محكوم بخاصيتين هما: الملاءمة المستمرة بين الذوق وأحواله ومقاماته وبين أصول الدين وضوابطه، فهو جانب من اخصب جوانب الحياة الروحية في الإسلام لأنه تعميق لمعاني العقيدة. واستنباط لظواهر الشريعة، وتأمل لأحوال الإنسان في الدنيا، وتأويل للرموز والشعائر.

في تحديد ماهية الإيمان انطلاقاً من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة منها: الحديث النبوي الذي ورد في صحيح مسلم، مروي عن عمر بن الخطاب تعريفاً للإيمان قوله صلى الله عليه وسلم «... أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»⁽²⁾

كما نجد في كتب التصوف تعريفات كثيرة للإيمان، تخضع في إيرادها إلى سياقات مختلفة منها ما يروى عن سيد الطائفة الإمام الجنيد (ت 297 هـ)، مثلاً جوابه لما سئل عن الإيمان وكانت أجوبته تختلف باختلاف السياق، يقول مرة: «الإيمان هو التصديق والايقان، وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان. ...»⁽³⁾

وقال في أخرى: «الإيمان هو الذي يجمعك إلى الله، ويجمعك بالله، والحق واحد والمؤمن متوحد»⁽⁴⁾

تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ومقام الإحسان من أعلى مراتب الدين وأكملها ولأن معاني صدق التوجه لهذا الأصل راجعة، وعليه دائرة، إذ لفظه دال على طلب المراقبة الملزومة به، فكان الحض عليها حضا على عينه، كما دار الفقه على مقام الإسلام والأصول على مقام الإيمان، فالتصوف أحد أجزاء الدين الذي علمه جبريل عليه السلام، ليتعلمه الصحابة رضي الله عنهم⁽¹⁾

ولعل الباحث في التربية الصوفية تستوقفه للوهلة الأولى خاصية ترقية العد الإيمان في الفرد من خلال طبيعة السلوك والرياضات الروحية التي تعتمد الطرق الصوفية فقد اشغلت الأذكار والأوراد الصوفية على ترقية البعد الإيمان في الفرد، سواء على مستوى الوجدان أو على مستوى السلوك الاجتماعي، فالصحة الإيمانية المنظور الصوفي تنطلق

في سره ﴿وَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: 14، في هذا دليل على أن محل الإيمان القلب، كما أنه في وصف المنافقين قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ البقرة: 10، ومرض القلب والإيمان ضدان⁽⁶⁾.

فمحل الإيمان القلب وطريقة تحقيقه كبج أو ذبح النفس وذلك تطهيرها من انحرافها.

لقد حدد الصوفية مرتكزات الإيمان استنادا إلى الحديث النبوي المشار إليه سلفا حول التمييز بين الإسلام والإيمان والإحسان وهو الأكثر تداولاً في مقالاتهم، فقد خاضوا في دلالاته، ووقعت الإشارة في أكثر من موضع إلى مرتكزات الإيمان استنادا إليه، فنجد أبو حامد الغزالي قد خصص فصلاً في كتابه (أحياء علوم الدين) واختار له عنواناً في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال

وقال في أخرى: «هذا سؤال لا حقيقة له، ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم، إنما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجرداً، وحقيقته في القلوب مفرداً، وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله، والتصديق بما خبر من أموره في سائر سمواته وأرضه، مما ثبت في الايقان، وان لم أره بالعيان»⁽⁵⁾

ويعرف أبو القاسم القشيري أيضاً الإيمان ويميزه عن الإسلام استناداً إلى ما ورد في الآية الرابعة عشرة من سورة الحجرات، فيقول قوله جل ذكره: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات: 14، الإيمان هو حياة القلب والقلب لا يحيا إلا بعد ذبح النفس، والنفوس لا تموت ولكنها تغيب، ومع حضورها لا يتم خير، والاستسلام في الظاهر إسلام، وليس كل من استسلم ظاهراً مخلص

قلبه لا يطلع عليه، وعلينا أن نزن أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منظور عليه في قلبه.»⁽⁷⁾

و يضع صاحب الإحياء ثلاث مستويات للإيمان « عقدا وقولا وعملا »⁽⁸⁾، ثم ينتهي إلى استنتاج مفاده أن الإيمان « اسم مستدرك يطلق من ثلاثة أوجه: الأول: أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف، وانشرح صدر، وهو إيمان العوام، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص. . الإطلاق الثاني: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف، وانشرح الصدر، والمشاهدة بنور البصيرة »⁽⁹⁾.

ويقوم أبو حامد نوعا من المفاضلة بين مراتب الإيمان، العليا لأهل الطريق وتبنى على اليقين والكشف والتقليد، وهذا التفاضل بين درجات الإيمان نجده دارجا بين مصنفات أهل

والانفصال، وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان، ووده استثناء السلف فيه) وقد عرض في الاختلاف والاضطراب في تحديد دلالات الإيمان والإسلام، من خلال استدعاء ثلاثة مباحث أو سياقات مختلفة: « بحث عن موجب اللفظتين في اللغة، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة، والبحث الأول لغوي، والثاني تفسيري، والثالث فقهي شرعي. . . فموجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص. . . والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل. . . وللإسلام والإيمان حكمان: أخروي، ودنيوي. . أما الأخروي فهو الإخراج من النار، ومنع التخليد. . . وحكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاء من المسلمين، لأن

الإشارة هنا إلى الجدل الكلامي الذي لم يكن الصوفية بمنأى عنه وفي هذا الموضوع، حيث تنتهي أغلب آراء أهل الطريق في مسألة الإيمان إلى ما انتهى إليه الإمام الأشعري 260هـ-324هـ الذي يعرف الإيمان بقوله: «.. هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب: أي أقر وحدانية الله تعالى، واعترف بالرسول تصديقا لهم فيما جاؤوا به من عند الله تعالى صح إيمانه، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك»⁽¹³⁾.

لقد كان تصور السادة الصوفية وقناعتهم تفاضل درجات الإيمان، دافعا لوضع ضوابط للتجربة الإيمانية والتعددية وانتهوا إلى تحديد شروط لبلوغ درجة الإيمان الكامل المنشود.

الطريق، نأخذ مثالا آخر يقوم على ثنائية في تعريف الإيمان حيث يقول السراج الطوسي (ت 378هـ) في تعريف الإيمان الإيمان ظاهرا وباطنا⁽¹⁰⁾

إن الإيمان في عرف الصوفية تجربة تعاش وليست إقرارا باللسان واعتقاداً بالقلب فحسب، فلا كمال للإيمان إلا متى تعلق بالعمل، يقول القشيري في هذا الباب: «حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق، وموجب الأمرين التوقيف، والتصديق بالعقل، والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد، ومراعاة الحد، فالمؤمنون هم الذين صدقوا باعتقادهم، ثم الذين صدقوا في اجتهدهم»⁽¹¹⁾. المؤمنون متفاوتون في بلوغ درجات الإيمان وهذا ما يؤكدّه سفيان الثوري 97هـ-161هـ (في قوله: «الإيمان يزيد، والناس عندنا مؤمنون مسلمون، لكن الإيمان متفاضل، وجبريل أفضل إيمانا منك»⁽¹²⁾). وتجدر

2- البعد المقاصدي للتصوف:

إذا كان التصوف هو لب الدين وتمثيل لأعلى درجات الإيمان ونقصد بها الإحسان فلا غرابة إذا قلنا أن البعد المقاصدي للتصوف لا يغدو أن يكون تمثيل لروح المقاصد الشرعية في أعلى مراتبها، ذلك، أن حفظ النفس وحفظ المال، وحفظ الدين وحفظ العرض تغدو منطلقات وثوابت يعمل التصوف بطريقه عملية على تموضعها بتحقيق الحاكمية الإلهية، عبر السير في طريق السالكين إلى الله، الذين يجعلون حب الله الغاية والوسيلة في نفس الوقت، من خلال تحقق مقامات الأخلاق والمجاهدات وتحقيق مظاهر التربية الروحية على أن الأكسير الفعال الذي يقوم عليه طريق السالكين وتتمحور حوله درجة الإحسان من الإيمان هو الحب الذي هو جوهر التصوف وسمته الكبرى، فقد اعتبر التصوف

عملية من حيث أنه يرتبط بالمجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات، فقد ظهر التصوف كعلم أخروي يعطي المفهومات الجامدة من تحليل وتحريم روحاً جديدة ويمزجها بالعاطفة الدينية المؤسسة على أعمال القلوب من مقامات وأحوال، وتنحصر هذه الأعمال في التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والشوق والوجد وغيرها من أحوال الصوفية ومقاماتهم⁽¹⁴⁾. لقد كانت وظيفة التصوف أن جعلت الرياضة الروحية طريقة ومنهجاً متسقاً، فهو كل ما يتعلق بأعمال الباطن المتعلق بأعمال القلوب ما يطرأ عليها من تقلبات، ودورها في استقامة الظاهر من أعمال الإنسان المشروطة باستقامة أعمال الباطن، « فالإيمان رأس الأعمال وأرفع مراتب السعادة لأنه أرفع الأعمال الباطنة كلها »⁽¹⁵⁾.

« لأن نظر أفاقه في العبادات التي رأسها السلام إنما هو من حيث أنها هل تصح فتكون مجزية ويقه بها الامتثال، ويسقط القضاء وكذا نظره في الحلال والحرام إنما هو من حيث أنه تصرف في مال الغير فهل ينتزع في درء المستحق شرعا أم لا، وما يترتب على ذلك من آثار سقوط العدالة أو ثبوتها وهذه كلها أمور دنيوية... والمتصوف ينظر في ذلك كله من حيث أنها حزازات القلوب ومؤثرة في الاستقامة التي هي أصل النجاة فيرى أن الصلاة لما كانت عبادة وأصلها التوجه بالقلب فإنه يبقى منها زاد للأخرة ما حصره القلب لا ما غاب عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليصلي الصلاة ليس له نصفها ثلثها أربعمها... إلى عشرها»⁽¹⁷⁾.

لقد حث السادة الصوفية في تراثهم الفكري على الوقوف عند النواهي والمحرمات والواجبات والأوامر من

ذلك لأن جميع التكاليف الشرعية التي تعبد بها الإنسان في خاصة نفسه ترجع إلى نوعين: «أحكام تتعلق بأعمال الظاهر وهي أحكام العبادات والعادات والمعاملات وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة وهي الإيمان وما يتصرف في القلب ويتلون به من الصفات»⁽¹⁶⁾، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» ولذلك صار فقه الشريعة على نوعين: فقه الظاهر وهو معرفة أنفسهم أو ما يجمعهم من عبادات وعادات وغيرها وما يخص المكلف في نفسه من أعمال الجوارح في عبادته وتناوله لضروراته ويسمى هذا فقه القلوب⁽¹⁶⁾. ويعتبر فقه الباطن أهم في الدين الاسلامي من فقه الظاهر لأنه الدعامة التي يستقيم بها الظاهر

فطالب القرب لا فرق عنده بين ما هو واجب وبين ما هو مندوب لأن الجميع يقتضيه حسبما دلت عليه الشريعة كما أنه لا فرق بين المكروه والمحرم لأن الجميع يقتضي نقيض القرب وهو إما البعد وإما الوقوف عن زيادة القرب والتمادي في القرب هو المطلوب»⁽¹⁹⁾.

2 - « النظر إلى ما تضمنته الأوامر والنواهي من جلب المصالح ودرء المفسد عند الامتثال وضد ذلك عند المخالفة. فإذا كان التفاوت في مراتب الأوامر والنواهي راجعا الى مكمل خادم ومكمل مخدوم وما هو كالصفة والموصوف فمتى حصلت المندوبات كملت الواجبات وبالضد فالأمر راجع إلى كون الضروريات آتية على أكمل وجوها فكان الافتقار الى المندوبات كالمضطر إليه في أداء الواجبات تزامت المندوبات والواجبات في هذا

حيث اقتضائها أقسام الحكم، واعتبار جلب المصلحة ودرء المفسدة المنبثقة عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فلا فرق بين مندوب وواجب أو مكروه أو محرم، « وهذا الاعتبار جرى عليه أرباب الأحوال من الصوفية ومن هذا حذوهم من طرح مطالب الدنيا جملة وأخذ بالحزم والعزم في سلوك طريق الآخرة إذ لم يفرقوا بين واجب ومندوب في العمل بهما ولا بين مكروه ومحرم في ترك العمل بل ربما أطلق بعضهم على المندوب أنه واجب على السالك وعلى المكروه أنه محرم وهؤلاء هم الذين عدوا المباحات من قبيل الرخص»⁽¹⁸⁾.

لقد نظر الصوفية إلى معنى الأمر والنهي من زاويتين:

1 - « النظر إلى قصد القرب بمقتضاها فإن امتثال الأوامر واجتناب النواهي من حيث هي تقتضي التقرب من المتوجه إليه كما أن المخالفة تقتضي ضد ذلك.

الحرَج، والصوفي يعتبر ما يحصل من الكمال»⁽²²⁾.

لقد أخذ الصوفية أنفسهم بالعزائم وركبوا طريق المجاهدة تصفية القلوب وإعمارها بحب الله. وارتضوا لأنفسهم طريق التزكية. يقول الشاطبي مشيراً إلى طريقتهم فالف الشيء والاعتیاد عليه يحول الصعب الشديد إلى الميسور المحتمل ودليل ذلك ما يأخذ به أرباب الأحوال أنفسهم من رياضات ومعالجات تصير الشاق وغير المعتاد عند غيرهم إلى مألوف ومعتاد عندهم وهو ليسو بدعا في ذلك بل لهم أصل يستندون إليه ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَنتُمْ لَكَبِيرَةٌ﴾ (البقرة: 45) حيث بين الله عز وجل أن الصلاة كبيرة على المكلف واستثنى الخاشعين الذين كان أمامهم رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو الذي

الوجه من الافتقار فحكم عليها بحكم واحد⁽²⁰⁾.

3 - اجتناب الأخذ بالرخص واختيار العزائم وهذا ما درج عليه أهل الطريق، في ترك الرخص وتحمل المشاق واجتناب البطالة والكسل ومخالفة النفس والهوى.

و هذا ما أشاد به الشاطبي أهل الطريقة في قوله: « ولأجل هذا أوصى شيوخ الصوفية على مذهبهم بترك اتباع الرخص جملة وجعلوا من أصولهم الأخذ بعزائم العلم وهو أصل صحيح مليح مما أظهر من فوائدهم رحمهم الله»⁽²¹⁾.

و هذا ما نوه به صاحب كتاب «قواعد التصوف» الشيخ زروق الفاسي (846_899) بقوله «نظر الصوفي للمعاملات أخص من نظر الفقيه، إذ الفقيه يعتبر ما يسقط من

رضا المحبوب واعترفوا بأن الشدائد والمشاق سهلة عليهم بل لذة لهم ونعيم وذلك بالنسبة إلى غيرهم عذاب شديد وألم أليم وعلى هذا الأصل يتخرج كثير من كبار الصوفية بل ومن كبار الصالحين والصحابة والتابعين⁽²⁵⁾.

3 - حاجة المجتمع اليوم إلى التربية الصوفية:

إن الزمن زمن الفترة والركون إلى الدنيا والتنافس على قشورها الفانية، فلقد امتاز عصرنا الحالي بكثرة الأزمات النفسية والأخلاقية بامتياز، فهو عصر الشهوة والانحراف والنزوة والفراغ الروحي، وقد آن لأصحاب الرقائق من الشيوخ الربانيين من أهل الطريق أن يساهموا في إعادة الاعتبار للتربية الروحية وتزكية النفوس لإعادتها إلى فطرتها فينبغي أن يكون للتصوف وأهله الربانيين الحقيقيين دور في إعادة الدعوة إلى الله وتزكية النفوس

كانت قرة عينه الصلاة حتى كان يستريح إليها من تعب الدنيا ويقول: «أرحنا بها يا بلال»⁽²³⁾. وقام بها حتى تورمت قدماه، فإذا كان كذلك فمن خص ورثته في هذا النحونال من بركة هذه الخاصية⁽²⁴⁾.

لقد كان حب الله عزوجل المنطلق والغاية عند أهل الطريق فأصبح الشاق سهلا والبعيد قريبا والمصعب ميسورا، إذ جعلوا ديدنهم وأقصى أمانهم رضى المحبوب عزوجل، حيث يقول فإننا ندرك ونشاهد أنه قد يكون للعامل المكلف حامل على العمل حتى يخف عليه ما يثقل على غيره من الناس وحسبنا من ذلك أخبار المحبين الذين صابروا الشدائد وحملوا أعباء المشقات من تلقاء أنفسهم من إتلاف مهجهم إلى ما دون ذلك وطالت عليهم الآماد وهم على أول أعمالهم حرصا عليها واغتناما لها وطمعا في

الباطن، والعناية بالفرد قبل المجتمع⁽²⁶⁾.

إن صلاح المجتمع ينطلق من استقامة الفرد كأول بنية في بنائه، وصلاح الفرد يبدأ بصلاح باطنه لا صلاح ظاهره وهو مناج رباني محمدي، قوامه الذكر وقراءة القرآن والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وشرطه الصدق والإخلاص وحسن المعاملة والأخلاق الفاضلة وطابع السلام ولين الجانب والاخاء والوئام، ومحبة الخلق انطلاقاً من محبة الخالق.

4 - آلية تفعيل التربية الروحية (التصوف):

يملك التصوف طاقة تربوية هائلة تعمل على إنارة القلوب وتربيتها على المحبة فهو كفيل بترقية الخطاب التربوي والديني على السواء لدى المرشدين والمربين والقائمين على الشأن العام.

وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن، ومواجهة الاجتياح الكبير لقيم غريبة عن الاسلام وصفاته إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها فالدھماء والشعب فريسة المادية الرعناء، ونهامة المال العمياء والأمراض الاجتماعية والخلقية، والمتقفون - الثقافة الدينية أو المدنية - فريسة الحرص على الحياة والمنصب والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأناية وحب الظهور ونفاق ومداھنة، وخضوع للمادة وللقوة. . . ولا علاج لكل ذلك إلا في (التزكية النبوية) التي نطق بها القرآن وبعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الربانية التي طوّل بها العلماء. . . لا بد أن نملاً هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا، ونسد هذا المكان الذي يشغله الدعاة إلى الله. . . تربية النفوس وتزكيتها وتجديد إيمانها وصلتها بالله، والدعوة إلى صلاح

كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من
الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق
الحديث، وأداء الأمانة، وصلة
الرحم، وحسن الجوار، والكف عن
المحارم والدماء»⁽²⁷⁾

لقد انطوى جوابه رضي الله عنه
على تلخيص وشرح أهم ضوابط
السلوك السوي لدى المؤمن، وأهم
دعائم العقيدة الإسلامية.

3/- إعادة ربط العملية التعليمية
بكل مراحلها بروح التربية الروحية
الإيمانية، فما فساد أخلاق العالم
والمتعلم إلا بسبب فصل التعليم عن
التربية، فالكل مسؤول عن ما آل إليه
المجتمع من جفاف روحي وانحدار
أخلاقي وانتشار العنف.

4/- إعادة الاعتبار لدور الزوايا
والمساجد في إعداد النشء وربطه
بالقرآن والمبادئ السامية للإسلام.

5/- السلوك الخلقي المستقيم

إن تفعيل الجانب الروحي في
الإنسان المسلم هو الخطوة الأولى في
إصلاح أدواء المجتمع ونحتاج في ذلك
إلى ما يلي:

1/- ربط الإيمان بالأخلاق وإعادة
تفعيل الخشية والحياء من الله حتى
تعود لكل الشعائر الدينية روحها
ووضائفها، فالإيمان هو الخلق، فمن
زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

2/- الإسلام نسق أخلاقي وليس
شعائر وطقوس جامد فما أبلغ جواب
جعفر بن أبي طالب حين سأله النجاشي
عن دينه قال: «أيها الملك كنا قوما
أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل
الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع
الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي
منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى
بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه
وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا
إلى الله لتوحيده ولنعبده، ونخلع ما

8/- تفعيل دور الشيخ والمربين الذين يحملون سمات التدين والالتزام الخلقي في اصلاح ذات البين واقحامهم للحد من تفاقم الكثير من القضايا النزاعية والظواهر الاجتماعية بالموعظة الحسنة والسعي إلى إرجاع أفراد المجتمع إلى احترام الجماعة والقيم الإسلامية السمحة كالتعاون وإصلاح ذات البين ودرء المفسد المتربة على انتشار الطلاق والتفكك الأسري وتعاطي المحرمات من المخدرات والخمور.

9/- ينبغي على القائمين على الزوايا وحتى المساجد مساهمة مستجدات الحياة الاجتماعية، خاصة أن التصوف الإسلامي المتسم بالوسطية والاعتدال وسمو التعامل مع الآخر وضيعة إصلاح المجتمع التي يدعو إليها التصوف وإنما هي غاية كل مسلم.

في التصور الإسلامي ثمرة من ثمار العقيدة الصحيحة وله في كل جوانب الحياة حضور، وتأتي الأخلاق ميدان تطبيقي لمفاهيم العقيدة.

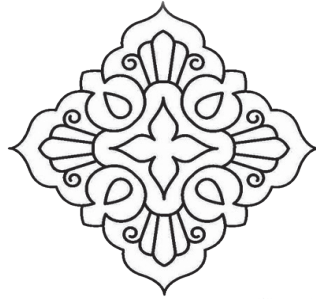
6/- إعادة الاعتبار لآثار العارفين من أعلام التصوف في تاريخ الجزائر والذين كانوا مربين دعاة إلى الله مجاهدين سابقين للذود عن حياض الأمة، وتاريخ العارفين منهم ثري وغني بنماذج ساهمت في الحفاظ على عقيدة الإسلام من طرق ووسائل الطمس والدمار الذي انتجها العدو الغازي الغاشم. من أمثال أبي مدين شعيب، والأمير عبد القادر، وعبد الرحمان الثعالبي، والشيخ الحداد وغيرهم كثير.

7/- إعادة الاعتبار لدور الزوايا ومناهج الطرق الصوفية في تربية النشئ وتنقيتها مما علق بها من مظاهر الانحراف والبدع التي لا تمت بصلة إلى أهل الطريق.

خاتمة:

إن للدين سلطاناً روحياً على المجتمع رغم مظاهر البعد عن سمت الأخلاق الإسلامية في الحياة العامة والخاصة للمجتمع فما أحوجنا إلى تفعيل روافدنا الثقافية من تراث صوفي ومدارس قرآنية وكتاتيب ومساجد كادت تفقد دورها المنوط بها في التربية والتوجيه وإصلاح المجتمع والتعليم.

إن التصوف رافد من روافد الثقافة والتاريخ الجزائري، ينبغي إعادة الاعتبار لثرائه ومواقفه المشرفة، وتصحيح الصورة المشوهة عنه في أذهان العامة والخاصة، وإصلاح ما علق به من مظاهر البدع والخرافات التي البت عليه الخصوم الرافضين له جملة وتفصيلاً.



قائمة الهوامش:

- (1)- أبو العباس أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، صححه وعلق عليه: محمد زهري النجار، 1419 هـ / 1998م، المكتبة الأزهرية للتراث، ص. 04.
- (2)- صححه مسلم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1991م، ح1، ص37.
- (3)- المزيدي، أحمد فرد، الإمام الجنيد سيد الطائفتين مشايخه، أقرانه، تلامذته، أقواله، كتبه ورسائله، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 2006م ص 260.
- (4) - المصدر السابق، ص260.
- (5) - القشيري، أبو القاسم عبد الكريم، تفسير القشيري المسعى لطائف الإشارات: تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2007م، ح3، ص 223.
- (6)- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الشعب، (د ت)، ح2، ص 203، 207.
- (7)- المصدر نفسه، ج2، ص210.
- (8)- المصدر نفسه، ح2، ص 211 - 213.
- (9)- السراج الطوسي، اللمع، تحقيق وتقديم عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتب الحديثة، مكتبة المثنى، بغداد، 1960 م، ص 22.
- (10)- القشيري، تفسير القشيري، المسعى لطائف الإشارات، ج1، ص 18.
- (11)- الأصفهاني أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، مكتبة الخاندي، القاهرة، دار الفكر، بيروت، 1996 م، ج7، ص33.
- (12)- الشهرستاني، أو الفتح محمد عبد الكريم، الملل والنحل . دار الفكر، بيروت - لبنان (د ت)، ص 101.

- (13) - محمد جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1404 م / 1984، ص 17.
- (14) - ابن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص 25.
- (15) - المصدر السابق، ص 23.
- (16) - المصدر السابق، ص 27.
- (17) - المصدر السابق، ص 28.
- (18) - الشاطبي، الموافقات، كتاب الإحكام، المحقق عبد الله دراز ومحمد عبد الله وعبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ط 7، 205، 239 - 300.
- (19) - مجدي محمد محمد عاشور، الثابت والمتغير في فكر الإمام أي إسحاق الشاطبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ط 2، 2002، ص 456.
- (20) - الشاطبي الموافقات 3 / 340 - 343.
- (21) - الشاطبي الموافقات، 1 / 338، 2 / 130.
- (22) - أحمد زروق الفاسي: قواعد التصوف، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2007، ص 43.
- (23) - شرح بي أي داود للعلامة آبادي، دار الحديث، القاهرة، ط 2001، 8 / 309.
- (24) - الشاطبي، الموافقات، 2 / 135.
- (25) - الشاطبي، الموافقات، 1 / 315.
- (26) - أبو الحسن الندوي، ربانية لا رهبانية، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط 1 2000 م، ص 23 - 25.
- (27) - أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين.